

المصطلحات اللسانية عند ابن خلدون

في ضوء اللسانيات المعاصرة

أ.د. عمر بن رابع لحسن*

المستخلص

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على الإسهامات اللسانية لابن خلدون ، التي بقيت مجهولة رغم الدراسات والمقالات والكتب التي ألفت عنه . فكانت عبارة عن تأملات ونظرات في المباحث اللسانية عنده ، وما قابلها من نظريات وآراء في اللسانيات المعاصرة ، بمختلف مدارسها ومناهجها . اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي بالاعتماد على المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث. توصل الباحث إلى عددٍ من النتائج أهمها؛ أنّ اللسانيات المعاصرة لم تذهب بعيداً في طريقة معالجتها لأغلب المسائل التي وجدناها مطروحة عند ابن خلدون ، بشكل مباشر أو بشكل عرضي ، فوافقت في أغلب الحالات رأيه بشكل صريح ، وإن كان الاختلاف في طريقة المعالجة وفي المصطلحات التي أفرزتها كل مرحلة ، حيث جاءت الدراسات المعاصرة أكثر شمولية ، حيث تناولت الموضوعات من شتى جوانبها ، مع دقة منهجية فرضها التقدم العلمي الذي شهدته اللسانيات في العصر الراهن. يُوصي البحث بالإفادة من إسهامات ابن خلدون اللسانية في ضوء دراسة المصطلحات اللسانية .

* قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة عنابة ، الجزائر.

مقدمة :

قد يتساءل أحد عن سبب الاهتمام بابن خلدون في عصرنا ، وقد بلغت الدراسات اللسانية في العالم مستويات من التفكير تضاهي أكثر العلوم الإنسانية والتكنولوجية. غير أنّ هذا التقدم السريع جعلها تقيم قطيعة مع الدراسات اللسانية القديمة ، وفي هذا الصدد يقول تشومسكي : " وفي المقابل، انقطعت اللسانيات الحديثة بطواعية عن النظرية اللسانية التقليدية وحاولت إنشاء نظرية لسانية بكيفية جديدة كل الجدة ومستقلة. ولم يهتم اللسانيون المحترفون عموماً إلا قليلاً بالإسهامات المقدمة إلى النظرية اللسانية من قِبَل التقليد الأوروبي السابق ، واهتموا بمسائل مختلفة جداً ، داخل نطاق ثقافي بعيد عن أن يجعلهم مدركين للمسائل التي أثارها الدراسات اللسانية الأكثر قدماً ، والتي أوصلت إلى النتائج المحققة إلى حدّ الآن ، وما زلنا إلى اليوم نجهل كثيراً إسهامات الماضي هذه أو ننظر إليها باستخفاف غير خفي"¹.

لم يكن العرب بمنأى عن هذا الموقف المجحف ، وذلك لأنهم انسقوا وراء منجزات اللسانيات المعاصرة الوافدة من الغرب - والمغلوب مولع بالغالب دائماً- تاركين وراءهم تراثاً عربياً زاخراً . ولهذا السبب فكرت في هذه الورقة أن ألقى الضوء على الإسهامات اللسانية لابن خلدون ، التي بقيت مجهولة رغم الدراسات والمقالات والكتب التي ألفت حوله . فكانت عبارة عن تأملات ونظرات في المباحث اللسانية عنده ، وما قابلها من نظريات وآراء في اللسانيات المعاصرة ، بمختلف مدارسها ومناهجها .

قد يرى البعض أنني مجحف في حق الرجل ، بإقحامه في مجال هو بعيد عنه ، مجال اللسانيات في القرن العشرين ، وهو الذي عاش في القرن الخامس عشر ، لكن الذي جعلني أجروء على هذا الموقف أنّ أغلب الذين أرخوا له عدّوه متجاوزاً عصره بكثير ، أو اعتبروه طفرة في الزمن ، حيث يقول المسدي : "وكثيراً ما يشير الباحثون إلى غرابة ظهور ابن خلدون في فترة انحسار المد الحضاري العربي ، معتبرين أنّ المناخ الفكري الذي ساد طيلة القرن السابع والقرن الثامن ما كان يسمح موضوعياً بظهور فكر متميز على الصعيد الإنساني يتجاوز كل مكتسبات المعرفة البشرية الحاصلة قبله"² . ويقول باحث آخر : " ربما كان من الإنصاف بمكان أن نعترف بأننا مجحفون في حق الرجل إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كل ما تكتنزه هذه الشخصية العلمية الفذة من معارف أنسكلوبيدية جامعة وإحاطات علمية وإبستمولوجية واسعة ، على الرغم من العصر الذي وجد فيه ابن خلدون كان عصر وهن وضعف وضحالة في فضاءات الفكر والإبداع"³.

إنّ ما زاد اهتمامي بالجانب اللساني عند ابن خلدون أنّ أغلب الدارسين من الغرب والشرق نظروا إلى شخصيته من زوايا علمية متعددة ، وعدّوه متعدد الاختصاص متشعب الاهتمامات ، فهو تارة عالم اجتماع ، وتارة فيلسوف ، وتارة مؤرخ ، ذلك أنّ " مذهبه الفكري وأسلوبه الذي في حقيقته مزيج من علوم متعددة"⁴.

1 - Noam Chomsky, la linguistique cartésienne, trad. par N. Delanoé et P. Sperber, ed. du Seuil, Paris 1969.

2 - عبد السلام المسدي ، قراءات مع الشبابي والمتنبّي والجاحظ وابن خلدون ، دار سعاد الصباح ، الكويت / القاهرة ط 4 ، 1993 ، ص 152 .

3 - عبد الجليل مرتاض ، ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر عدد 8 ، 2003، ص 83 .

وإن كان المسدي يرى أن ظهور ابن خلدون لا يعد بمثابة الطفرة ، بل جاء في الوقت الذي كان يجب أن يظهر فيه ، لأن العلوم العربية الإسلامية تمخضت وتراكت ووصلت معه إلى مرحلة قطف الثمار ، حيث يقول : " فإذا صح عندك ما افترضنا تبين لك كيف أن ابن خلدون ما كان إلا ثمراً طبيعياً لثمط الحضارة التي أنشأته ، فالتكفير النقدي العربي توليدي كما عرفت ، فهو إذن ثمرة خصيب وثمرته هي ابن خلدون " . قراءات مع الشبابي والمتنبّي والجاحظ وابن خلدون ، ص 158 .

4 - حسان حلاق ، مقدمة في مناهج البحث التاريخي ، دار النهضة العربية ، بيروت 1986 ، ص 310 .

لقد كان ابن خلدون من ألمع الشخصيات العربية الإسلامية التي حظيت بمكانة متميزة عند المفكرين الغربيين والعرب ، بل ربما كان اهتمام الغرب بأرائه وأفكاره هو الذي دفع بالعرب إلى الاهتمام به . فلولا تحقيقهم - الغرب - آثاره ونشرها وترجمتها إلى لغاتهم ما نال الحظوة التي نالها عند أهله من العرب⁵ .

ولما كان اهتمام الغرب منصباً على الجوانب الفكرية والفلسفية والاجتماعية، فقد أهملت آراؤه في المجال اللساني ، رغم أنها لا تقل أهمية عن غيرها من الآراء الخلدونية . وهذا ما حدا بي إلى محاولة إلقاء الضوء على تصنيفه لعلوم اللسان وتعريفه إياها في ضوء النظرية اللسانية المعاصرة، وعلاقة هذه العلوم بالنظرية الخلدونية العامة ، المتمثلة في علم العمران البشري ، كما جاء مبسوطاً في المقدمة . لقد مثلت المقدمة "منظومة الفكر الأصولي المتكامل في مسار الحضارة العربية، وهذه المصادرة تستوجب التسليم بأن ابن خلدون -فضلاً عن أنه فليسف علم التاريخ واشتق علم العمران - قد أمسك في مقدمته بأزمة مراتب أخرى تتداخل وتتفاعل إلى حد التراكم الكثيف فهو في المنزلة الأولى مؤرخ للعلوم ، وفي المنزلة الثانية ناقد لأصول العلوم ومناهجها وثمارها ، ثم هو في الثالثة منقّب عن خصائص المعرفة الإنسانية وكليات الإدراك البشري " ⁶ .

يعد كتاب ابن خلدون مشروعاً حياتياً ، قضى معظم فترات حياته في تأليفه ومراجعته، إذ استغرقت مدة كتابته أكثر من عشرين سنة ، حيث كتب المقدمة في أربعة أعوام⁷ لما كان مقيماً في قلعة ابن سلامة في غرب تلمسان (وهي تقع الآن قرب مدينة وهران) ، أما الأجزاء المتبقية فأكملها خلال إقامته بمصر ، التي بقي فيها حتى وافته المنية سنة 806 هـ (1406م) عن عمر يناهز ثمانية وسبعين سنة⁸. ورغم أن لسان بن الخطيب قد ذكر في ترجمة ابن خلدون (في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة) مجموعة من الكتب قد ألفها ابن خلدون ، من بينها شرح البردة ، وتلخيص كثير من كتب ابن رشد ، وكتاب في الحساب ...⁹ ، إلا أنّ ابن خلدون لم يشر إلى هذه المؤلفات حين ترجم لنفسه في كتاب مستقل في آخر كتاب العبر ، بعنوان : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً . وكأنه لا يراها ذات أهمية تذكر، لأنها قد تثنيه عن مشروعه المتمثل في كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم " .

أولاً: مدخل لعلم العمران البشري الإنساني عند ابن خلدون :

يتمثل هذا المشروع في وضع كتاب يشتمل على ما يؤمن به من أفكار ومبادئ، تتلخص في نظرية العمران، التي يصرح بأنه هو الذي ابتكرها في قوله: " اعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص. ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليفة ما أدري ألغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم ، أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا. ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاماً وأعثرنا على علم جعلنا بين نكرة وجهينة خبره. فإن كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيق من الله وهداية ، وإن فاتني شيء في إحصائه واشتبّهت بغيره فللناظر المحقق إصلاحه ، ولي الفضل لأنني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق والله يهدي

5 - انظر يسرى عبد الغني عبد الله ، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1991 ، ص 74 (بتصرف).

6 - المسدي ، قراءات مع الشبابي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون ، ص 163 .

7 - وقد صرح هو نفسه بذلك .

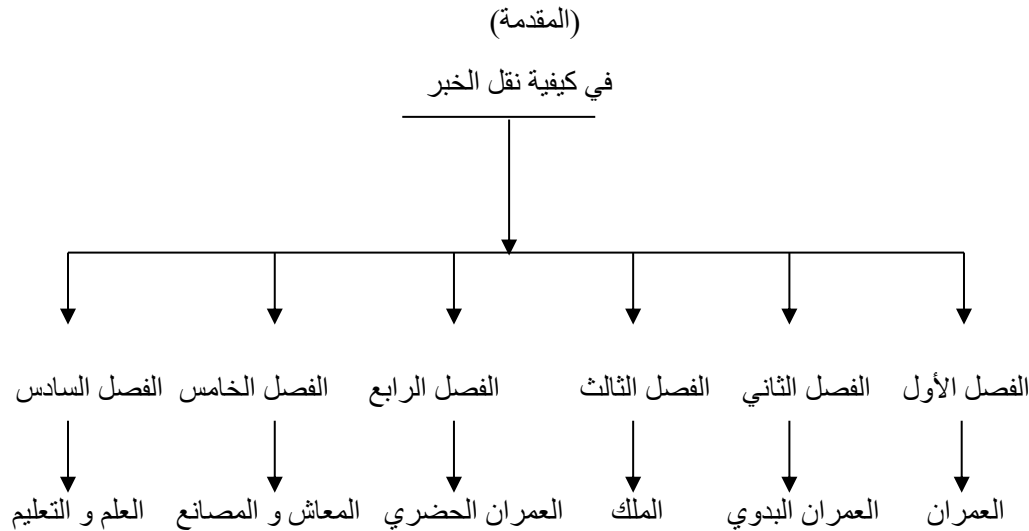
8 - جميل صليبا ، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 3 ، 1981 ، ص 146.

9 - المرجع السابق ، ص 150 .

بنوره من يشاء" ¹⁰ . وإن كان يعترف بأن بعضاً من العلماء والحكماء من الفرس (المؤذبان وأنوشروان) ومن اليونان (أرسطو) ومن العرب (ابن المقفع والطرطوشي) قد سبقه في التطرق إلى هذا الموضوع ، غير أنّ كتاباتهم لم ترق - في نظره - إلى مستوى نظريته من حيث دقة التناول وشمولية تحليل المسائل المتعلقة بالعوارض والأحوال التي تطرأ على العمران البشري والاجتماع الإنساني ، والذي في مجمله جزء لا يتجزأ من العلوم الإنسانية التي تنتمي إليها اللسانيات المعاصرة.

ويرى أنّ موضوع الكتاب الذي ألف يتلخص في " وهذا هو غرض الكتاب الأول من تأليفنا، وكأنه علم مستقل بنفسه. فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه به من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى. وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً" ¹¹ . فهذا التعريف الموجز يوضح بشكل صريح مفهوم العلم الذي سعى ابن خلدون إلى وضع أسسه ومعالمه في المقدمة، والذي أطلق عليه اسم علم العمران البشري ، والذي يرتبط بالإنسان وأداته اللسان.

فموضوع هذا العلم الذي هو العمران البشري بكل مظاهره المادية والمعنوية، الاجتماعية والسياسية والإيديولوجية والعلمية والعقدية، البدوية والحضرية ، اللغوية والبلاغية والأدبية واللسانية ، ذلك أنّ البشر الذين ميزهم الله تعالى عن سائر المخلوقات بالعقل والفكر، الذي يسمح لهم بتعلم العلوم والصناعات . لقد كانت طبيعة العيش البشر الاجتماعية والإنسانية ، والتساكن والتنازل في بلد ما أو جلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لنا في طباعهم من التعاون على المعاش مما تميز به بنو آدم عن الحيوانات . وقد قسم ابن خلدون العمران البشري إلى نوعين : عمران بدوي وعمران حضري ، حيث يتميز كل نوع منهما بخصائص تجعله يختلف عن الثاني . ولذلك فقد قسم وفق ذلك كتابه إلى ستة فصول ، جاءت موزعة كما يلي :

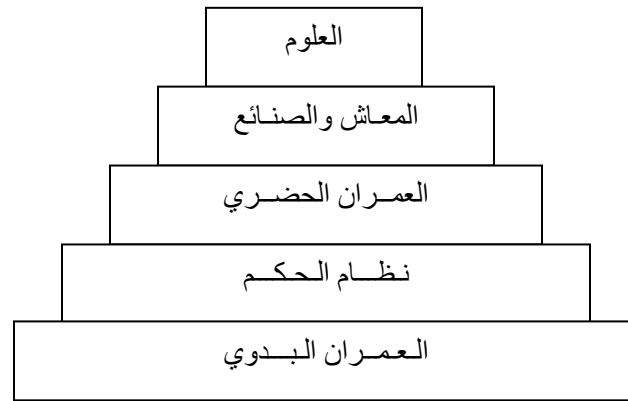


10 - المقدمة ، ص 44 .

11 - المصدر السابق ، ص 43 - 44 .

إنّ هذا الترتيب الذي اقترحه ابن خلدون لأبواب كتابه لم يكن عفويّاً ، ولا مجرد صدفة ، بل كان مقصوداً ، حيث يبرره المؤلف بقوله : " وقد قدمت العمران البدوي لأنه سابق على جميعها كما نبين لك بعد ، وكذا تقديم الملك على البلدان والأمصار . أما تقديم المعاش فلأن المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كماله أو حاجي ، والطبيعي أقدم من الكمال . وجعلت الصنائع مع الكسب لأنه منه ببعض الوجوه ومن العمران "12 .

وقد جاء هذا الترتيب بشكل منطقي ، وكأنه يتبع مبدأ النشوء والارتقاء ، إذ كل مستوى يتولد من المستوى الذي سبقه ، ويبدأ هذا الترتيب الهرمي من العمران البدوي الذي هو أصل كل أنواع العمران ، بالنظر إلى أنه أبسطها على الإطلاق ، يليه الكلام عن نظام الملك والحكم (السياسة) ، وهو باب يدور كله "حول موضوع السياسة ودورها في بناء العمران ، من خلال أطوار الدولة واختلاف أحوالها واختلاف أهلها باختلاف الأطوار ، سواء بالانتقال من البداوة إلى الحضارة أو من الحضارة إلى الهرم ، وإلى خراب العمران ، ليصل إلى نتيجة منطقية كانت منتظرة ، وهي أنّ العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره"13 ، ثم نجد المستوى الموالي المخصص للعمران الحضري ، الذي يركز عن المستوى السابق ، فبصلاحه يصلح العمران ، ذلك أنّ السياسة هي أساس الملك ودوام الحضارة والعمران . أما المستوى الخامس المخصص للمعاش والكسب والصنائع التي تكتمل باكتمال العمران الحضري وكثرته ، وهو ما يفسر حسب - ابن خلدون - أن العرب كانوا أبعد الناس عن الصنائع . وبلغ تطور العمران الحضري أوجه من خلال أنماط العيش، فينتقل إلى مرحلته الأخيرة ، مرحلة العلم ، تطبيقاً لمبدأ "بداية الفكر نهاية العمل " ، التي تلخص بكيفية أخرى قانون النشوء والارتقاء14 . ويمكن أن نبين هذا الترتيب الهرمي وفق المخطط التالي :



12 - المقدمة ، ص 47 .

13 - محمد الصغير بناني ، البلاغة والعمران ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1996 ، ص 38 - 39 .

14 - انظر : المرجع نفسه ، ص 40 . وأشار إليها الأستاذ عمار طالبي في مداخلة في ندوة حول " ابن خلدون والفكر العربي المعاصر " بتونس وتم طبع الأعمال سنة 1980 بالدار العربية للكتاب ، وأطلق عليها اسم "النظرية الارتقائية".

وهذه هي مواضيع العلوم الإنسانية ، حيث اللغة والفصاحة والبيان والأدب هي عناصر مهمة في علوم اللسان .
إنّ النظرة السريعة على عدد الصفحات التي اشتمل عليها كل فصل من فصول المقدمة تظهر لنا بشكل جلي الأهمية التي أولاها ابن خلدون للفصلين الثالث والسادس ، إذ جاءت كما يلي :

مقدمة	40 صفحة
الفصل الأول	80 صفحة
الفصل الثاني	30 صفحة
الفصل الثالث	168 صفحة
الفصل الرابع	32 صفحة
الفصل الخامس	45 صفحة
الفصل السادس	145 صفحة

فعدد الصفحات المرتفع بشكل لافت للانتباه في هذين الفصلين يبرز بلا شك الأهمية البالغة لموضوع الملك والعلوم في النظرية الخلدونية ، غير أنّ الفصل السادس يعد أكبر الفصول حجماً إذا ما أضفنا إليه ما جاء في الفصل الأول حول أصناف المدركين للغيب، ذلك أنه يشكل المغزى الرئيسي في نظرية التطور العمراني في رأي ابن خلدون ، إذ أنّ موضوع هذا الفصل هو العلوم وما يتصل بها من القضايا الفكرية واللسانية ، التي ينتهي تطورها في "حال"¹⁵ يعود الفضل في اكتشافه على هذا الوجه إلى ابن خلدون ، وهو ما يسميه بطرق التعليم . فالعلوم بوصفها عمراناً فكرياً ولسانياً وفنياً ينتهي تطورها في صناعة الشعر ، وبوصفها عمراناً صناعياً ينتهي تطورها في صناعة التعليم. وهاتان الصناعتان تأتيان في قمة الهرم وتشكلان أوج العمران وآخر ما يتجلى فيه قبل التطور النهائي.

فالعلوم كما نرى معنوية هي الأخرى بنظرية النشوء والارتقاء ، ذلك أنه يعرض لها من الأحوال - حسب رأي ابن خلدون - ما يعرض غيرها من الكائنات، فهي تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة ، وينطوي بساطها لما يتناقص العمران ، ومن جهة أخرى فإنّ تعليم العلم يعدّ من جملة الصنائع التي تظهر وتختفي بظهور العمران البشري واختفائه .
ونظراً إلى أنّ المقام لا يسمح بتفصيل القول في كل المصطلحات الواردة في المقدمة، فإنني أقتصر هنا على أربعة مصطلحات، أراها من أهم دعائم النظرية اللسانية عند ابن خلدون: الملكة ، الصوت ، علوم اللسان، النحو .

15 - مصطلح الحال مصطلح خاص بابن خلدون ، ويدل على مرحلة من مراحل التطور العمراني .

ثانياً - في المصطلحات اللسانية عند ابن خلدون :

تعد اللسانيات من أحدث العلوم الإنسانية ، ظهرت بوادرها في مطلع القرن الماضي، مع ظهور كتاب دو سوسير " محاضرات في اللسانيات العامة " ، الذي قام طلبته بنشره بعد وفاته سنة 1916 . وقد حاول دو سوسير أن يجري قطيعة مع الدراسات اللسانية التي سادت في القرن التاسع عشر ، والتي غلب عليها الاتجاه التاريخي المقارن ، والتي رفضها دو سوسير لأنها تهتم بالظواهر اللسانية الهامشية ولا تولي النظام اللساني أي عناية ، معلناً بذلك عن ظهور المدرسة الوصفية البنوية في الدراسات اللسانية . وقد كانت أبحاث دو سوسير وأراؤه باعثة لجملة من الاتجاهات اللسانية التي ظهرت تباعاً في شتى الأقطار الأوروبية ، كالمدرسة الوظيفية التي ظهرت على أيدي أعضاء حلقة براغ اللسانية ، من أمثال الروسي رومان جاكوبسون ، والفرنسي أندري مارتيني ، والمدرسة النسقية التي ظهرت في الدانمارك على أيدي لويس بالمسلاف .

وفي الفترة نفسها ، ساد في الولايات المتحدة الأمريكية نوع آخر من الدراسات اللسانية على أيدي ليونارد بلومفيلد ، الذي تأثر بالمدرسة السلوكية في علم النفس ، فاقترح اتجاهها لسانيا عرف بالتوزيعية ، حيث رفض بلومفيلد اللجوء إلى الاستبطان والمعنى في دراسة المعنى ، واقتصر على الجوانب الشكلية التي يمكن ملاحظتها . وقد ثار نعوم تشومسكي على هذه النظرة التي ترفض اللجوء إلى المعنى في دراسة اللغة، باعتبار أن المعنى يعد الدعامة الرئيسية لمقاصد المتكلم التواصلية ؛ فالهدف الأساسي من العملية التواصلية هو نقل معنى معين من المتكلم إلى المستمع، وأدى هذا الرفض إلى ظهور أكثر المدارس اللسانية سيطرة على ساحة البحث العالمية، وهي المدرسة التوليدية التحويلية، التي ما فتئ صاحبها يطورها على مرّ السنوات، منذ الخمسينيات إلى أيامنا هذه .

1 - المَلَكَة :

استخدم ابن خلدون مصطلح الملكة في فصول كثيرة من المقدمة ، دون أن يقدم لنا تعريفاً له ، على خلاف ما عهدناه في التعامل مع المصطلحات الأخرى ، إذ نجده يعرف كل مصطلح يستعمله في كتابه ، بل إنَّ الغرض الذي ألف من أجله المقدمة ، كما أسلفنا ، هو أن تكون المقدمة " مستوعبة لمقولات الفكر النقدي ، مع غزارة تأليفية هي وليدة القدرة على التجريد والطاقة على الاستقطاب المعرفي الشامل"¹⁶ ، وكأنه لا يرى حاجة إلى تعريفه ، فهو معروف عند العامة والخاصة. وأياً كان الأمر ، فالملكة هي : " الكيفية الراسخة في النفس التي يقندر بها على استحضار ما كانت قد علمته واستحصال ما لم تعلمه " ¹⁷ . والملكة هي القدرة على التعبير في الموضوع المعني، مثلاً " ملكة الفكاهة هي القدرة عما يثير الضحك "¹⁸ والسعادة في نفوس الآخرين .

إنَّ هذا التعريف الذي ينم عن فهم دقيق وعلمي للظاهرة اللسانية ، هو الذي نستشفه من السياقات المختلفة التي ورد فيها مصطلح الملكة عند ابن خلدون ، إذ يركز على ضرورة الرسوخ والقدرة على الأداء بشكل مثالي ، حيث يقول : " اعلم أن

16 - المسدي ، قراءات مع الشابي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون ، ص 152 .

17 - محمد الصبان ، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، المطبعة الأزهرية المصرية ، ج 1 ، القاهرة 1305 هـ ، ص 15 .

18 - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكمال المهندس ، ص 385 .

اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع ، وهذا هو معنى البلاغة¹⁹ . فالأداء الجيد للغة يتوقف على حصول الملكة في شكلها المثالي .

واستعمال هذا المصطلح عند ابن خلدون يجعلنا نستحضر ثنائية مشهورة في اللسانيات الغربية ، وهي التي ميز فيها اللساني الأمريكي تشومسكي بين مصطلحين ، يشملهما معاً مصطلح ابن خلدون ، هما مصطلحا الكفاءة والأداء ويقابلهما في الفرنسية (compétence et performance) ، أما الأول فهو " معرفة المتكلم / المستمع بلغته" ، وأما الثاني "الاستعمال الفعلي للكفاءة في مواقف فعلية " ²⁰. غير أنّ ابن خلدون قد استطاع أن يجمع المصطلحين في موقف واحد، إذ الملكة عنده في اللسان للعبارة عما هو موجود في الذهن ، فقد شمل المصطلح، إذن، مفهومي الكفاءة والأداء. وإن كان بعض العرب يترجمون مصطلح compétence بالملكة، وهذه ترجمة غير دقيقة بالمفهوم الخلدوني للملكة.

وإذا كانت الملكة عند ابن خلدون هي التي تحدد نوعية أداء المتكلم للغة ، إذ أنّ جودة تحصيلها تنعكس على جودة نوعية الأداء ، فإنّ تشومسكي يرى أنّ الكفاءة مثالية عند جميع المتكلمين ، أما الأداء فإنه يختلف باختلاف هؤلاء المتكلمين واختلاف مستوياتهم الثقافية والتعليمية ، وباختلاف الأوساط الاجتماعية التي ينتمون إليها²¹ .

والملكة تحصل باعتماد منهج خلدوني واضح ، يشرحه في قوله : "والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ، لأنّ الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً ، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة " ²². فهي تمر بثلاث مراحل ، حيث تكون في البداية صفة ، ثم تصبح حالاً بعد تكرارها ، وتعود في الأخير ملكة تمتاز بالرسوخ.

2 - الصوت والحرف :

يعرف ابن خلدون الحرف بقوله : " اعلم أن الحروف في النطق هي كصفات الأصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة وأطراف اللسان مع الحنك والحلق والأضراس ، أو بقرع الشفتين أيضاً ، فتتغير كصفات الأصوات بتغير ذلك القرع ، وتجيء الحروف متميزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر. وليست الأمم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف، فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا ، وفي لغتنا أيضاً حروف ليست في لغتهم . وكذلك الإفرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم " ²³ . وهو تعريف قريب من تعريف ابن جني الذي يقول : " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق

19 - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ، المقدمة ، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 2 ، 1998 ، ص 508 .

20 - Christian Nique, initiation méthodique à la grammaire générative, Armand Colin, Paris 1974, p. 11.

21 - ميشال زكريا، قضايا السنوية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1993، ص 61 وما بعدها.

22 - ابن خلدون ، المقدمة ، ص 508 .

23 - المصدر نفسه ، ص 39 .

والفم والشفتين مقاطع تُثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً . وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ... "24 .

إنّ هذا التعريف الذي جاء به ابن خلدون يدل على فهم دقيق للظاهرة الصوتية، حيث نجده يميز بين مختلف المخارج ، من حلقية ولهوية وحكيكية ولسانية وشفوية. فالصوت عنده كيفية خروج الصوت من الحنجرة وما يعترض ذلك الصوت من حواجز في مكان معين من الجهاز الصوتي . وتختلف الأصوات من أمة إلى أخرى ، بحسب ما اختارته كل أمة لنفسها من أصوات ضمن مجموع الأصوات التي يمكن أن ينطق بها الإنسان . إنّ هذه النظرة الثاقبة تجعلنا نستحضر هنا ما ذهب إليه أندري مارتيني، حين قسم التجربة الإنسانية إلى مستويين من التمثيل ، تمفصل أول تنتج عنه وحدات دالة سماها (monème) ، وتمفصل ثان تنتج عنه وحدات صوتية غير دالة ولكنها تملك وظيفة تمييزية سماها (phonème)، يقول: "نستطيع الآن صياغة مفهومنا للغة . فهي آلة للتواصل تتمفصل التجربة الإنسانية - حسبها - بشكل مختلف في كل مجتمع ، إلى وحدات ذات محتوى وتعبير صوتي هي الوحدات الدالة (المونيمات) ، هذا التعبير الصوتي يتمفصل بدوره إلى وحدات تمييزية متتالية هي الوحدات الصوتية (الفونيمات)، بعدد محدد في كل لغة تختلف طبيعتها وعلاقاتها من لغة إلى أخرى" 25. فالأصوات تتركب منها الكلمات ، والكلمات هي التي تتكون منها التجربة الإنسانية ، وهو ما أشار إليه ابن خلدون حين قال : "وتجيء الحروف متميزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر" .

ومن جهة أخرى ، فإنّ هذا التعريف يذكرنا بما ذهب إليه بالمسلاف الذي " ينظر إلى اللغة من حيث إنها تتضمن مستويين ؛ مستوى التعبير ومستوى المحتوى. يتكون مستوى التعبير من الغطاء الصوتي أو الخطي للفكرة ، ويتكون مستوى المحتوى من عالم الفكرة التي تعبر عنها في اللغة .

نلاحظ أنّ اللغة ، في واقعها ، تستعمل عدداً قليلاً من الأصوات اللغوية، في حين أنّ مستوى التعبير يتكون من مادة مشتركة بين كل اللغات ، تتألف من الأصوات التي يمكن النطق بها بواسطة الجهاز الصوتي الإنساني . إلا أنّ الطرق التي تتوافق فيها هذه الأصوات ، ضمن تنظيم اللغة (أي شكل مستوى التعبير) هي خاصة في كل لغة .

بتعبير آخر ، يحتوى مستوى التعبير على مادة تعبيرية صوتية يمكنها أن تكون مشتركة بين سلسلة من اللغات الطبيعية . وعلى هذه المادة ، بالذات ، يظهر شكل التعبير وطرق استعماله في لغة معينة" 26.

ومن جهة أخرى ، فقد ميز ابن خلدون بين الصوت المنطوق أو المسموع والحرف المكتوب ، حيث يقول : " ثم إنّ أهل الكتاب من العرب اصطلاحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها كوضع ألفٍ وباءٍ وراءٍ وطاءٍ إلى آخر الثمانية والعشرين . وإذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملًا عن الدلالة

24 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وأصحابه، البابي الحلبي، القاهرة 1954، ج 1 ، ص 06.

25 - André Martinet , éléments de linguistique générale, Armand Colin , Paris 1980 , p. 20 - 21 .

26 - ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ص 248.

الكتابية مغفلاً عن البيان²⁷. وربما هذا الذي جعل سيبويه يميز في الكتاب بين الأصوات الأصول والفروع، إذ الفروع أصوات تابعة للأصول، ولكنهم عجزوا عن إيجاد مقابلها المكتوب لها، إذ قد يؤدي استعمالها إلى اختلاف المعنى، كما في اللهجات المعاصرة في المغرب العربي (راب ورا ب بالإمالة الشديدة) و(راح وراح بإمالة شديدة كذلك)، وهي أمور استطاع الرسم القرآني أن يجد لها حلاً، كأن يضع نقطة تحت الحرف الممال إمالة شديدة في رواية ورش. وابن خلدون نفسه اقترح طريقة لحل مشكلة كتابة الحرف الأعجمي متأثراً في ذلك بالرسم القرآني حيث يقول: "ولما كانت كتابنا مشتملاً على أخبار البربر وبعض العجم، وكانت تعرض لنا في أسمائهم أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا، ولا اصطلاح أوضاعنا اضطررنا إلى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلنا، لأنه عندنا غير كاف بالدلالة عليه. فاصطلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديته، وإنما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف الإشمام كالصراط في قراءة خلف، فإن النطق بصاهه فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي²⁸. ولم تختلف الدراسات اللسانية الحديثة عما ذهب إليه ابن خلدون في التمييز بين الصوت اللغوي والحرف المكتوب، حيث يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن "الحرف يقابل الصوت في كونه هيئة للصوت يتميز بها عن صوت آخر في المسموع. والحرف شيء مجرد، هو مجموعة تختلف عن الأشياء التي تدخل ضمنها هو مجموعة من العناصر المحسوسة"²⁹.

3 - علوم اللسان (اللسانيات) :

إنّ الحيرة الاصطلاحية التي لمسناها في الصفحات الأولى من كتاب دو سوسير، وهو يحاول تحديد موضوع اللسانيات (التي تسعى إلى أن تصبح علماً)، حيث يميز بين ثلاثة مستويات هي: langage - langue - parole، لا نجد لها أثراً عند ابن خلدون، حين أراد أن يصنف علوم اللسان، حيث يقول: "في علوم اللسان العربي: أركانه أربعة: وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة"³⁰.

أ - اللسان، في هذا التعريف، يشمل موضوعات متنوعة، وتدخل في تكوينه عناصر مختلفة، ولذلك فإننا نراه مقابلاً لمصطلح سوسير langage، الذي يعرفه صاحبه قائلاً "اللغة واللسان عندنا ليسا بشيء واحد. فإنما هي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة من المواضع يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة. وإذا أخذنا اللسان جملة بدا لنا متعدد الأشكال متباين المقومات موزعاً في الآن نفسه بين ميادين متعددة بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي"³¹.

27 - ابن خلدون، المقدمة، ص 39.

28 - المصدر نفسه، ص. ن.

29 - علم الأصوات (مطبوعة لطلاب معهد اللسانيات والصوتيات) الجزائر 1972، ص 02.

30 - المصدر نفسه، ص 500.

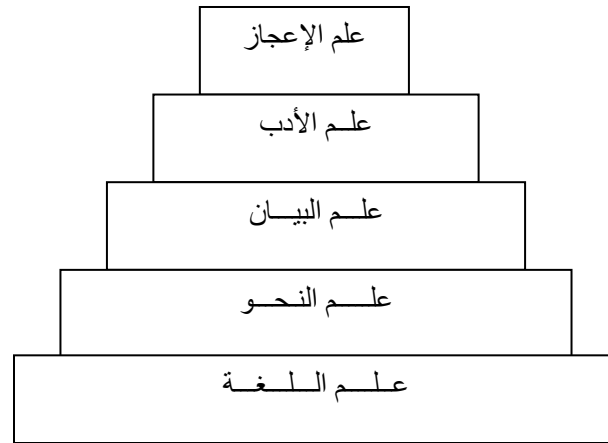
31 - Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, édition Payot, Paris 197, p. 25.

ب - أما مصطلح **اللغة** فتقابل عند سوسير مصطلح **langue** ، الذي يعرفه قائلاً : " أما اللغة فهي على عكس ذلك ، كل بذاته ومبدأ من مبادئ التبويب . وما إن نعطي اللغة المكانة الأولى ضمن أحداث اللسان ، حتى ندخل نظاماً طبيعياً إلى مجموعة من الظواهر لا تسمح بأي نوع من التصنيف "32 . ما نستشفه من هذه التعريفات التي جاء بها ابن خلدون وسوسير أن اللغة جزء من اللسان ، وأن اللسان أعم وأشمل منها ، إذ هي تدخل في تكوينه، وإن كان عبد القادر المهيري يرى عكس ذلك ، إذ يعتقد أن ابن خلدون يستعمل مصطلح اللسان للإشارة إلى نظام علامي بعينه ، ومصطلح اللغة بمدلولات تختلف باختلاف السياق ، ولا يمكن أداؤها بمصطلح اللسان ، ومنها في المرتبة الأولى أداة التخاطب عامة بغض النظر عن كونها خاصة بقوم دون قوم33 .

وإذا كان المصطلحان يتداخلان أحياناً في مقدمة ابن خلدون أو يترادفان - حسب رأي المهيري - فهذا ، راجع في نظرنا ، إلى التقارب الشديد في دلالتهم من جهة ، وإلى أنّ السياقات التي وردا فيهما لا يتطلبان الدقة الاصطلاحية العلمية. غير أنّ السياق الخلدوني الذي أوردناه فرض على ابن خلدون أن يميّز بينهما تمييزاً علمياً صارماً ، إذ كان بصدد تصنيف العلوم اللسانية ، وهو موقف يتطلب من صاحبه أن يتحلى بالدقة والصرامة العلمية .

ج - مصطلح **الكلام** ، الذي يقابل مصطلح سوسير **parole** ، فقد جاء كذلك مطابقاً في معناه للمعنى الذي قصده سوسير ، إذ يدل على الاستعمال الفردي للغة في المواقف التخاطبية المختلفة .

ومن جهة أخرى ، فإنّ تصنيف ابن خلدون لعلوم اللسان يكاد يكون مطابقاً لما نجده في اللسانيات المعاصرة ، حيث يرى - كما أسلفنا - أنّ أركانه أربعة هي: اللغة والنحو والبيان والأدب ، ويتفرع كل ركن منها إلى مجموعة من الفروع لتكون شجرة علوم اللسان عنده كثيفة ، وافرة . واعتبر ابن خلدون هذه الأركان متفاوتة في القيمة والرتبة بحسب دورها في تحصيل الملكة لدى المتكلم ، حيث جاء ترتيبها كما يلي (34) :



32 - Ibid, p. 25 .

اعتمدنا في هذا النص على ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة لكتاب سوسير بعنوان : دروس في الألسنية العامة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1985 ، ص 29 . غير أنهم يترجمون مصطلح **langage** كلام ، ومصطلح **parole** لفظ . وقد أشرنا في محاضرة ألقيناها بسوسة (تونس) في شهر ديسمبر 2005 بملئى حركية المصطلح الذي نظمته وحدة البحث " النقد ومصطلحاته " إلى الاختلاف الكبير في ترجمة مصطلحات سوسير بين اللسانيين العرب .

33 - عبد القادر المهيري ، نظرات في التراث اللغوي العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1993 ، ص 187 .

34 - هذا الشكل مأخوذ من : محمد الصغير بناني ، البلاغة والعمران عند ابن خلدون ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1996 ، ص 48 .

إنّ الهدف الأسمى من اكتساب اللغة واستعمالها وحصول ملكتها هو فهم النص القرآني والأحاديث النبوية الشريفة واستنباط الأحكام الشرعية منهما ، حيث يقول : " فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة . وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام " (35) .

د - مصطلح علم اللغة وقصد به صناعة المعاجم، أما البيان فيقصد به البلاغة ، التي يرى أنها فرع من علم البيان في قوله : " فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث في هذه الدلالة التي للهيات والأحوال والمقامات ، وجعل على ثلاثة أصناف : الصنف الأول يبحث فيه عن هذه الهيات والأحوال التي تطابق باللفظ جمع مقتضيات الحال ، ويسمى علم البلاغة . والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستعارة والكناية كما قلنا ويسمى علم البيان . وألحقوا بهما صنفاً آخر وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك ، ويسمى عندهم علم البديع "36 .

فالذي يثير انتباهنا فعلاً : " أنّ الأصناف التي صنفها ابن خلدون تحت مصطلح علوم اللسان العربي هي عين ما نراه اليوم ونقف عليه في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة"37 . وخير مثال على هذا التصنيف ما نجده في كتاب "المعجم الموسوعي لعلوم اللسان" (Le dictionnaire encyclopédique des sciences du langage) ، حيث يشمل الموضوعات والفروع التالية :

- الباب الأول : المدارس اللسانية

- الباب الثاني : الحقول (les domaines) ، واشتمل على الموضوعات التالية :

مكونات الوصف اللساني ، اللسانيات الجغرافية ، علم الاجتماع اللساني ، علم النفس اللساني ، البلاغة والأسلوبية ، الشعرية ، السيميائية ، فلسفة اللغة .

- الباب الثالث : المفاهيم المنهجية (les concepts méthodologiques) ، ويتناولان فيه :

الدليل ، التركيب ونمطية الاستبدال ، الفئات اللسانية ، اللغة والكلام ، المعيارية ، الاعتبارية ، الأنية والزمنية ، تاريخ الأدب ، الأجناس الأدبية ، اكتساب اللغة ، علم أمراض الكلام .

الباب الرابع : المفاهيم الوصفية (Les concepts descriptifs) ، وفيه المواضيع التالية:

35 - ابن خلدون ، المقدمة ، ص 500 .

36 - المصدر نفسه ، ص 506 .

37 - عبد الجليل مرتاض ، ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث ، ص 99 .

الوحدات الدالة ، النطق الصوتي اللساني ، نظم الشعر ، الكتابة ، أقسام الخطاب ، الوظائف النحوية للشخصية ، القواعد التوليدية ، البنيات السطحية والبنيات العميقة ، الإحالة تصنيف وقائع المعنى، خطاب الخيال ، العلاقات الدلالية بين الجمل ، النص ، الأسلوب ، الزمن وكيفية اللغة ، زمن الخطاب ، التلفظ ، مقام الخطاب ، اللغة والفعل³⁸ .

4 - النحو (التركيب) :

تمتاز الثقافة الإنسانية - على تشعب مجالاتها وتنوع مشاربها - بوجود مستويين متميزين ؛ أولهما المستوى العلمي التظيري الذي يهتم به العلماء والباحثون في ذلك المجال ، وتوجه نتائجه - عادة - إلى المختصين . وثانيهما المستوى التعليمي الذي يوجه إلى عامة المتعلمين في جميع المراحل التعليمية .

وإذا كان المستوى الأول يحتاج إلى تطوير وسائل البحث ومناهجه وأدواته، فإن المستوى الثاني يحتاج إلى تطوير الوسائل التعليمية وطرائق التدريس، ومعرفة حاجات المتعلمين من ذلك العلم، ذلك أنّ " كل مسعى منهجي محترم ينطلق من تحليل حاجات الجمهور المقصود . إنها المرحلة المبدئية التي لا مناص من المرور عليها . فهي التي تبرر المبدأ الأساس الذي يرى أن التعليم يجب أن يكون مركزاً على المتعلم"³⁹. إن تحديد هذه الحاجات هو الذي يساعدنا على تحديد محتوى التعليم والبرامج الدراسية والمناهج الواجب اعتمادها في العملية التعليمية، مهما كان العلم ومهما كان التخصص.

والنحو ، باعتباره أحد الفروع الرئيسية في الدراسات اللسانية يتميز - هو كذلك - بوجود هذين المستويين : المستوى العلمي والمستوى التعليمي (يعبر عنهما بالفرنسية بمصطلحي *le savoir et le savoir faire*) ، حيث يوجه الأول إلى المختصين من الباحثين والعلماء الذين وهبوا أنفسهم للبحث والتنقيب في أدق دقائق النحو . وقد عرف النحو العربي تطوراً نادراً ما نجد مثيلاً له في العالم فيما يخص النحو العلمي، أدى إلى ظهور مدارس نحوية ذات المناهج والآراء العلمية المتضاربة، فتشعب النحو وكثر فيه التفسير والتعليل والتأويل إلى درجة عالية من الدقة والعلمية ، حتى إنّ بعضهم اعتبر هذا من قبيل الترف الفكري⁴⁰ .

أما المستوى الثاني - المستوى التعليمي - فقد بقي بمثابة الابن الفقير في عائلة النحو ، ذلك أن العلماء الذين تصدوا لتدريس النحو في العصور القديمة، وحتى الحديثة لم يميزوا بين مستوييه، وراحوا يلقنون المتعلمين في جميع أعمارهم كل ما يتصل بالنحو العربي دون تحديد حاجاتهم المعرفية وقدراتهم النفسية والعقلية.

وقد أدى هذا الوضع إلى إن أصبح النحو شعباً يخيف المتعلمين بمختلف أعمارهم ومستوياتهم، فتعالت الأصوات في جميع العصور تنادي بضرورة تيسير النحو، وأخرى بضرورة إسقاط الإعراب أو التقليل من أهميته، بل وصلت إلى درجة

38 - انظر :

Todorov et Ducrot, Le dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd du Seuil , Paris 1972.

39 - H. Besse et R. Galisson , polémique en didactique , du renouveau en question , coll. didactique des langues étrangères , CLE international , Paris 1980 , p. 54 .

40 - نايف معروف ، خصائص العربية وطرائق تدريسها ، دار النفائس بيروت 1985 ، ص 170 .

الدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى⁴¹. غير أنّ بعض العلماء استطاعوا أن يضعوا أصابعهم على أساس المشكل ، وأبرزهم ابن خلدون ، الذي أدرك بحسه اللغوي السليم وتذوقه لجمال العربية خطورة النحو والإعراب، حيث ميز تمييزاً مستنيراً واعياً بين صناعة الإعراب لذاتها، وبين الملكة اللغوية التي ينبغي العمل من أجل تكوينها في لسان طالب العربية ، وعدم الانشغال بقوانين الإعراب المتشعبة ، التي لا طائل تحتها في الكتابة والتعبير والمعنى⁴². وهو يرى أنّ "صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ، فهو علم بكيفية لا نفس الكيفية ، فليست نفس الملكة ، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع ولا يحكمها عملاً . فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل ، ولذلك نجد كثيراً من جهاذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذوي مودة ، أو شكوى ظلامة ، أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب أو أكثر من اللحن ... وكذا نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ، ولا المفعول من المجرور ، ولا شيئاً من قوانين صناعة الكتابة . من هذا تعلم أنّ تلك الملكة هي غير صناعة العربية ، وإنما هي مستغنية عنها بالجملة"⁴³.

فالنحو عنده يجب أن يقتصر على القسط الذي يجعل المتعلم يحصل الملكة اللسانية، لأنه وسيلة لا غاية ، يقول : " فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار ، فإنّ ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكته وإيضاحاً لمعانيها المقصودة . وأما العلوم التي هي آلة لغيرها ، مثل العربية والمنطق وأمثالها ، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال به لغوا ، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها"⁴⁴.

خاتمة :

هكذا ، نلاحظ أنّ اللسانيات المعاصرة لم تذهب بعيداً في طريقة معالجتها لأغلب المسائل التي وجدناها مطروحة عند ابن خلدون ، بشكل مباشر أو بشكل عرضي ، فوافقت في أغلب الحالات رأيه بشكل صريح ، وإن كان الاختلاف في طريقة المعالجة وفي المصطلحات التي أفرزتها كل مرحلة ، حيث جاءت الدراسات المعاصرة أكثر شمولية ، حيث تناولت الموضوعات من شتى جوانبها ، مع دقة منهجية فرضها التقدم العلمي الذي شهدته اللسانيات في العصر الراهن .

1 - إن اللغة أعم من اللسان ، وأن اللسان أعم وأشمل منها ، فمصطلح اللغة يكتسب مدلولات تختلف باختلاف السياق ، أما مصطلح اللسان فهو يشير إلى نظام معين بصفة خاصة.

41 - المرجع السابق ، ص 173 .

وهي دعوة حديثة يترجمها بعض العلماء العرب من أمثال لويس عوض، وأنيس فريجة، غرضها إحداث الهوية السحيقة بين أجيال المسلمين الحاضرة والقادمة ، وبين عقيدتهم وتراثهم .

42 - المرجع نفسه ، ص 174 .

43 - ابن خلدون ، المقدمة ، ص 560 .

44 - المصدر السابق ، ص 493 .

2 - مصطلح الكلام عند ابن خلدون يتفق وما قصده دو سوسير في أنه يدل على الاستعمال اليومي للغة في المواقف التخاطبية المختلفة .

3 - الأصناف التي صنفها ابن خلدون تحت مصطلح (علوم اللسان) العربي هي عين ما نقف عليه في علم اللغة الحديث .

4 - الترتيب الطبيعي للميادين اللغوية في عرف علم اللغة الحديث ، يبتدئ بالأصوات ، ثم الأبنية والتراكيب ، والأساليب ، والدلالات ، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون عندما قال إنّ علوم اللسان أربعة : اللغة والصوت والبنية والنحو (ويقابله في علم اللغة الحديث نظام الجملة والتراكيب) ، والبيان والأدب (الأساليب) .

5 - الربط بين العلوم الإنسانية واللسان ، من حيث دقة التناول في المسائل المتعلقة بأحوال المجتمع والحياة واللغة .

المصادر والمراجع

- 1 - ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق مصطفى السقا وأصحابه، البابي الحلبي، القاهرة 1954 .
 - 2 - حستان حلاق ، **مقدمة في مناهج البحث التاريخي** ، دار النهضة العربية ، بيروت 1986 .
 - 3 - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ، **المقدمة** ، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 2 ، 1998 .
 - 4 - عبد الجليل مرتاض ، **ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث** ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر عدد 8.
 - 5 - عبد السلام المسدي ، **قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون** ، دار سعاد الصباح ، الكويت / القاهرة ط 4 ، 1993.
 - 6 - عبد القادر المهيري ، **نظرات في التراث اللغوي العربي** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط 1 ، 1993.
 - 7 - نايف معروف ، **خصائص العربية وطرائق تدريسها** ، دار النفائس بيروت 1985 .
 - 8 - مجدي وهبة وكمال المهندس ، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** ، الطبعة الثانية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984.
 - 9 - محمد الصبان، **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، المطبعة الأزهرية المصرية ، القاهرة 1305 هـ .
 - 10 - ميشال زكريا، **قضايا ألسنية تطبيقية**، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1.
 - 11 - محمد الصغير بناني ، **البلاغة والعمران عند ابن خلدون** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1996.
 - 12 - عبد القادر المهيري ، **نظرات في التراث اللغوي العربي** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1993
 - 13 - ميشال زكريا ، **الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت
 - 14 - يسرى عبد الغني عبد الله ، **معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1991.
- 51 - André Martinet, *éléments de linguistique générale*, Armand Colin, Paris 1980.
- 61 - Christian Nique, *Initiation méthodique à la grammaire générative*, Armand Colin, Paris 1974
- 71 - Todorov et Ducrot, *Le dictionnaire encyclopédique des sciences du langage*, éd du Seuil , Paris 1972.

- H. Besse et R. Galisson, *Polémique en didactique*, du renouveau en question, coll. 81 didactique des langues étrangères, CLE international, Paris 1980.
- Noam Chomsky, *La linguistique cartésienne*, trad. par N. Delanoë et P. Sperber, ed. du 91 Seuil, Paris 1969.
- Ferdinand de Saussure, *Cours de linguistique générale*, édition Payot, Paris 1974.20